

النقود الفضية الموحدية المربعة ضرب مدينة قسنطينة دراسة تحليلية وفنية

يحيى العشري (قسم علم الآثار - جامعة تلمسان)

ملخص:

لقد كان للهيمنة السياسية والعسكرية في تاريخ الدولة الموحدية الأثر الإيجابي ليس فقط على إطالة عمر الدولة فحسب، بل إلى تمديد نفوذ أتباع ابن تومرت حتى حدود المغرب الأدنى، فكانت هذه السيطرة إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحد، حيث كانت الدولة تبسط نفوذها على أهم الحواضر والمدن الهامة في المغرب الإسلامي ومنها مدينة قسنطينة ذات البعد الاستراتيجي للدولة الموحدية، مما جعلهم يتخذونها دار ضرب لنقودهم الفضية، وذلك لتغطية نفقات واحتياجات الدولة في ظل التوسع وضم أكبر عدد من المناطق وتحقيق أعظم المكاسب .

الكلمات المفتاحية : تاريخ - الدولة الموحدية - قسنطينة - النقود - الفضية

Abstract:

It was a political and military dominance in the history Almohad's country .not only the positive impact of the life extend of the state,but also extend of the followers of Ibn Tumart the boundaries of Morocco.

This was the control of one of the basic components on which the Almohad economy, where its influence to extend the states into one more important metropolises and important in the Islamic Maghreb cities, including Constantine, a city with a strategic dimension under Almohad power, Which made them home for their silver money , so as to cover the expenses of the state's needs in light of the expansion and the inclusion of a greater number of areas and to achieve the greatest gains.

Keywords: History - Almohad State - Constantine - coins – silver.



مقدمة:

نظرا للحقبة الطويلة التي ميزت الحكم الموحد في بلاد المغرب، (أي ما يقارب قرن ونصف)، وباعتبار هذه الدولة هي الوحيدة التي تمكنت من فرض وحدة سياسية في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث أصبحت أغلب مناطق هذا الإقليم تدين بالطاعة للخليفة الموحد الذي جابت جيوشه كل حدود المغرب، من المحيط الأطلسي إلى أقصى المغرب الأدنى (تونس)، وكل الصحراء الكبرى.

هذه الهيمنة السياسية والعسكرية كان لها الأثر الإيجابي ليس على تمديد عمر الدولة فحسب، بل كانت إحدى المقومات الأساسية التي قام عليها الاقتصاد الموحد، حيث كانت الدولة تبسط نفوذها على أهم الطرق والمنافذ البحرية، التي أنعشت حركة التبادل التجاري إضافة إلى وجود العديد من المناجم التي كانت موجودة في الأقاليم التي كانت تخضع للسلطة المركزية.

هذه العوامل كلها مجتمعة جعلت من الدولة الموحدة دولة قوية بنظامها النقدي المحكم الذي خول لها إنتاج كميات هائلة من الدنانير والدرهم باسم المناطق التابعة لها، وحتى تلبية الاحتياجات الكبرى المتزايدة لهذه الدولة، فوجد العديد من دور الضرب الموحدة التي أخذت على عاتقها إنتاج الدنانير والدرهم، مما جعل هناك توازن نقدي بين الولايات الموحدة الذي انعكس بالإيجاب على حركة الأموال والاقتصاد.

ولنسلط الضوء أكثر على ظاهرة نقدية هامة من بين هذه الظاهرة الاقتصادية التي عرفتھا الدولة الموحدة، فقد وصلت إلينا مجموعة في غاية الأهمية من الدراهم الفضية باسم مدينة قسنطينة، التي كان لها قوي في العهد الموحد ورغم هذا نجد المصادر التاريخية قد غفلت عن ذكر هذه المدينة كدار للضرب الموحدة، ونحن نعلم أن اضطلاع أي مدينة بأدوار أساسية لا يتحقق إلا بوجود دار للضرب فيها، مما ينعكس بالإيجاب على حيوية المدينة وحركتها الاقتصادية والتجارية.

1 - لمحة تاريخية عن مدينة قسنطينة:

قسنطينة هي من أبداع المدن الجزائرية من حيث الموقع الطبيعي الخلاب، مبنية على طرفي صخرة يفصل بينهما وادي الرمل والمدينة تشرف من جهاتها الثلاث على هاوية الوادي، وتصل بين قميمها جسور⁽¹⁾ فهذه المدينة من المدن الجزائرية العريقة بتاريخها وحضارتها

وتراثها منذ العصور القديمة، فقد عرفت الاستقرار البشري منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتشير بعض الدراسات الأثرية الحديثة والتنقيبات الجديدة إلى أنها كانت موطنًا لقبائل الماسيل المنتشرة في الإقليم الشرقي لبلاد الجزائر، قد اشتهرت هذه القبائل بتربية المواشي وخدمة الأرض وفلاحتها. فقد بدأت مدينة قسنطينة قرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة كبيرة، أصبحت عاصمة سياسية وإدارية ومركزًا تجاريًا هامًا، بين القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، هيمنت على بقية التجمعات البشرية الأخرى المحيطة بها الأمر الذي جعلها تلعب أدوار سياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية هامة كعاصمة لمملكة نوميدية، فاكتملت أهميتها على عهد الملك ما سينيسا (203-149 ق.م).

وتعرضت للاحتلال الروماني الذي تمكن من الاستيلاء استولى عليها أثناء محاربتهم ليوغورطة (108 ق.م)، وأصبحت إحدى المدن الرئيسية بشمال إفريقيا، وتعرضت للتدمير قبل أن يجدد بناءها الإمبراطور قسطنطين، فحملت اسمه، وأصبحت تعرف بقسنطينة⁽²⁾. ويضيف الشيخ العطار في شأن تأسيسها بقوله: «... اختلفت الأقوال فيمن بناها، ف قيل بناها قسطنطين الذي بنى قسطنطينة العظمى التي اسمها اليوم اسلانبول، وهي المسماة بلغتنا اصطنبول، وقيل بناها عامله على وطن إفريقية ونسبها إليه لكونه تحت طاعته، وقيل غير ذلك، والصحيح أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى مدينة قرطاجنة التي بقرب تونس، وبها كرسي إفريقية.

وكانت في سالف الزمان تسمى بالحصن الإفريقي يضرب بها المثل في التحصن لكونها مبنية على جبل والهواء محيط بها من كل جهة كدوران الخاتم في الأصبع غير أنها جهة الغرب منها بنوا أقواسا بالحجارة العظيمة بصنعة متقنة وهندسة عظيمة وارتفاع هائل، وطمسوه من الأعلى وردموه حتى صار أرضا يدخلون عليها⁽³⁾.

وقد نالت المدينة نصيبها من كتابات الرحالة ومن بينهم: أبوعبيد البكري في القرن الخامس الهجري يقول عنها: «ثم تسير من مدينة تيجس إلى مدينة قسطنطينة، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام⁽⁴⁾. أما ياقوت الحموي فيقول في وصفها: «قسنطينة بضم أوله وفتح ثانيه ثم نون، وكسر الطاء، وياء مثناة من تحت، نون أخرى بعدها ياء خفيفة، وهاء: مدينة وقلعة يقال لها قسنطينة الهواء، وهي قلعة كبيرة جدا، حصينة عالية لا يصلها الهواء إلا بجهد، وهي في حدود إفريقية مما يلي المغرب، لها اتصال بأكام متناسقة جنوبها، تمتد منخفضة حتى تساوي



الأرض وحولها مزارع كثيرة وإليها ينتهي رحيل عرب إفريقية مغربين في طلب الكلا⁽⁵⁾،

وقد أسهب الرحالة والجغرافي العربي الشريف الإدريسي في وصف موقعها الهام وما تتمتع به من خيرات وثروات فقال : « وهي مدينة عامرة، ولها الأسواق وتجارة وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة ومعاملات للعرب، وتشارك في الحرث والادخار والحنطة، تقيم في مظاهرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير، وهي قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الاستدارة، لا يتوصل إليها إلا من جهة باب في غربها ليس بكثير السعة وهذه المدينة يحيط بها الوادي من جهاتها كالعقد المستدير بها، وليس للمدينة من داخلها صور يعلوا أكثر من نصف قامة، إلا من جهة باب ميله وللمدينة بابان في الغرب وباب القنطرة في الشرق⁽⁶⁾ .

ويضيف الحميري في تعداد محاسن وفضائل قسنطينة بقوله : وهي من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهي مدينة أولية كبيرة أهلة، فيها آثار لأول كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقرى عامرة، وكان لها ماء مجلوب يأتيها على قناطر بالقرب من قناطر قرطاجنة، وفيها مواجل عظام مثل التي في قرطاجنة، وقسنطينة حصينة في غاية المنعة والحصانة، ولا يعلم بإفريقية⁽⁷⁾ أمنع منها، بل ليس لها نظير إلا مدينة رندة بالأندلس، فإنها تشبهها في وضعها، والخندق المحيط بها، والحافات المحدقة بها كثيرا، لكن قسنطينة أعظم وأكبر وأعلى فهي على جبل عظيم، من حجر صلب، قد شق الله تعالى ذلك الجبل فصار خندقا عظيما يدور بالمدينة من ثلاث جوانب⁽⁸⁾

فقسنطينة كان يسميها المغاربة (المغرب الأقصى)، في كتبهم التاريخية وغيرها بـ(قسنطينة)، وتبين أن المدينة اسمها في العصور الماضية (حصن-طينة)، الأغلب وسميت أيضا (قصر - طينة) ففي عصر العلامة ابن الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني المتوفي سنة 810هـ كانت تسمى حصن طينة، حيث ذكر هذا المؤرخ في كتابه القيم المتضمن أرجوزته الفلكية المسماة بالسراج، والتي جاء في بعض أبياتها:

ثم صلاة الله ذي الجلال على النبي المصطفى والآل

يعرف بابن قنفذ اشتهاره من حصن طينة فتلك داره

أتى بهذا الرجز المهذب بفاس الكبير من أرض المغرب⁽⁹⁾ .

أما الشيخ العلامة صالح بن مهنا القسنطيني فقد ذكر قسنطينة باسم قصر طينة، وفي

تعليقه القيم عن رحلة الشيخ الورتلاني المسماة « نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار »، إذ قال: «... وقلت قسنطينة بلدة قديمة جاهلية من البلاد التي وقع عليها الفتح بإفريقية وسميت باسم بانيها « قسطنطن » من أسماء الرومان كالقسنطينية العظمى، وقيل أصل هذا الاسم قصر طينة، منسوب إلى امرأة من الرومان اسمها طينة، فأضيف إليها، ثم دخله التصحيف والتحريف قيل قسطنطينة بالميم والنون⁽¹⁰⁾».

ويذكر لنا مؤرخ دولة الموحدين البيدق (أبو بكر الصنهاجي) أن المهدي بن تومرت قد دخل مدينة قسنطينة واستقر بها قبل قيام دولته فيقول: «...وذلك أنه لما دخل سيدنا المعصوم قسنطينة نزل عند الفقيه عبد الرحمن المليي، ويحيا بن القاسم، وعبد العزيز بن محمد، وكان أميرها ابن سيع بن عبد العزيز، وكان قاضيها قاسم بن عبد الرحمان، وكان الطلبة الذين بها يأتون المعصوم (المهدي) يقرؤون عليه...»⁽¹¹⁾.

وتشير المصادر التاريخية أن مدينة قسنطينة دخلت تحت الحكم الموحي ابتداء من سنة 547هـ، بعد استنفار السلطان الموحي لقتال النورماندين الذين حاولوا الاستحواذ على سواحل إفريقية⁽¹²⁾، حيث سار عبد المؤمن حتى نزل بجاية ففتح له بابها أبو عبد الله بن ميمون بن علي المعروف بابن حمدون فدخلها وفر عنها يحي بن عبد العزيز بن حماد في البحر إلى مدينة بونة ومنها إلى قسنطينة وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة⁽¹³⁾.

وقد استمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أجروا حصارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ⁽¹⁴⁾، الذي استطاع استرجاع المدينة وضمها إلى طاعة الخلافة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضة لتحركات ثوار بني غانية، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحي أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

وبعد هذه الصراعات والحروب عاشت المدينة أجواء من الاستقرار واستتباب الأمن، وخاصة في عهد والي إفريقية أبي محمد بن أبي حفص الذي حكم الولاية حتى عام 618هـ/1221م، ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م⁽¹⁶⁾.



وظلت مدينة قسنطينة طيلة تاريخها تتأرجح بين الحكم الموحد تارة، وسلطة ثوار بني غانية تارة أخرى، لكن أبو زكرياء حسم الأمر وأعلن خلع طاعة الموحدين، وتسمى بالأمير، وذلك إيذاناً باستقلال الولاية، وقيام دولة بني حفص في تونس، وبذلك انطفأ وميض أكبر ثورة (بني غانية) أنهكت قوى أكبر دولة في المغرب الإسلامي في ذلك الوقت ومهدت لقيام دولة مستقلة سيكون لها شأن في المغرب الأدنى⁽¹⁷⁾.

فتأرجح تاريخ المدينة تارة تحت طاعة ملوك مراكش من الملتزمين المرابطين والموحدين وبني مرين، وتارة تحت سلاطين تونس الحفصيين إلى أن دخلها الاتراك⁽¹⁸⁾.

2 - الخصائص الفنية للسكة الفضية الموحدة:

2 - 1 طراز الدرهم الموحد المربع:

إن من أبرز الأحداث الهامة التي مرت بها الدولة الموحدة في نظامها النقدي، ابتكار سكة جديدة، خالفت في شكلها ومضامينها عما سبقها من مسكوكات دول المغرب الإسلامي التي سبقتها⁽¹⁹⁾، فحل هذا الطراز الجديد محل النقود المرابطية والزيرية والحمادية⁽²⁰⁾، فكان هذا الإنجاز نقطة تحول هامة في تاريخ النظم النقدية الإسلامية منذ الفتح العربي لهذا الإقليم⁽²¹⁾.

والتي بقيت أثارها وخصائصها متداولة في المغرب والأندلس من طرف الدول التي خلفت هذه الأخيرة في الحكم، واستمرت على نفس التقاليد طوال تاريخها مثل الدولة الحفصية بتونس، والدولة الزيانية بتلمسان، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والنصريين بغرناطة⁽²²⁾.

ولقد بلغ تأثير طراز التبريع النقدي الموحد حتى حدود الهند، فبعد استحواذ العائلة الخليفة في القرن السابع الهجري على عرش دلهي، قام السلطان قطب الدين مبارك شاه رابع حكام هذه الأسرة بضرب سكة ذهبية وفضية مستديرة ومربعة الشكل⁽²³⁾.

وحسب البيدق مؤرخ المهدي : «... فإن تبريع السكة من ابتكار محمد بن تومرت القائم بأمر الموحدين، يقول أن الفقيه مالك بن وهيب قال للخليفة المرابطي علي بن تاشفين: هذا هو ويقصد (محمد بن تومرت) صاحب الدرهم المربع، أجعل عليه كبلًا كي لا تسمع له طبل...»⁽²⁴⁾.

ويذكرنا لنا صاحب كتاب الدوحة المشتبكة نسبة تبريع الدرهم إلى المهدي بن تومرت

بقوله: «وذاك أن صاحب الدرهم المركن هو أبو عبد الله المهدي القائم بأمر الموحدين، وكانت الدراهم قبل ظهور الدولة الموحدية مدورة، فأمر المهدي أن تكون دراهمه مركنة، فكانت كذلك من حساب عشرين منها في الأوقية وثلاثة منها في الدينار»⁽²⁵⁾.

ويؤكد ابن خلدون على أن الطراز الجديد كان من تدبير المهدي حيث يقول: «... ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم المربع الشكل، وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد...»⁽²⁶⁾. (أي القرن الثامن الهجري).

فأغلب الروايات التاريخية تؤكد أن المهدي بن تومرت لم يسك في حياته عملة باسمه وإنما كان الفضل الكبير في إصدار الطراز المربع في الدراهم إلى خليفته ومؤسس الدولة عبد المؤمن بن علي، كون أن الأمور لم تستتب إلا في عهد هذا الأخير، حيث شهدت السنوات الأولى لظهور هذه الدولة صراعا كبيرا بينها وبين الدولة المرابطية المنهارة⁽²⁷⁾.

حيث لم يكن في مقدور الموحدين إحداث دار لصنع النقود، وليس مستبعدا أن مدينة مراکش، هي أول دار موحدية قامت بإصدار هذه النقود ذات الطراز الجديد، في المغرب والأندلس، حيث زاد عدد دور السكة في كل مكان وصل إليه سلطان الدولة⁽²⁸⁾.

في السنوات الأولى للحكم الموحد، كانت الدراهم تضرب في جميع عواصم الولايات، مختلفة الأوزان، ويبدو أن الموحدين قد أكثروا من ضرب الدراهم وأجزائها خاصة بعد استثمار الفضة في خلافة أبي يوسف يعقوب، ولم تعد هناك شكوى من قلة الصرف كما كان الحال أيام أبيه عبد المؤمن⁽²⁹⁾، ويذكر صاحب المعجب لنا أمثلة من ذلك حيث يقول أنه حينما اشتكى يحيى بن عبد العزيز لعبد المؤمن تعذر الصرف وعدم استطاعة شسكان بجاية قضاء حوائجهم لقلته، فبعث لهم عبد المؤمن ثلاثة أكياس صروف كلها⁽³⁰⁾.

فكان منها بمدينة فاس القرويين والأندلسيين دار سكة، فنقلها الخليفة أبو عبد الله الناصر ابن المنصور الموحد، لدار أعدها بقصبتها حين بنائها سنة ستمائة، وأعدها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، وأتقن ثقافها على أتم حال، وغالبا ما كان يسبك فيها الذهب، وأما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، وكان الناس يتعاملون بكل سكة منها إلا أن صار التعامل في الدراهم على وزن هذه اليعقوبية⁽³¹⁾.

2 - 2 التفسير التاريخي والأثري:

إن هذه العينات النقدية التي هي محل الدراسة، هي جزء من كنز كبير وثمان عثر عليه



في منطقة عين الدفلى، وهي يحتوي على نماذج متنوعة من المسكوكات الفضية الموحدية ذات الشكل المربع، والتي احتوت الكثير من دور الضرب التي اشتهرت في العصر الموحدى، حيث ما يزال الكثير منها يحافظ على خصائصه الفنية، ومن بينها الدراهم الموحدية التي حملت مدينة قسنطينة كدار للسك الموحدية.

وللإجابة على هذه التساؤلات حري بنا التعرض إلى نبذة مختصرة عن تاريخ هذه المدينة في العصر الموحدى، فتذكر المصادر الإخبارية أن أتباع المهدي بن تومرت قد بسطوا سيطرتهم على مدينة قسنطينة منذ خلافة عبد المؤمن بن علي، الذي تمكن من دخولها والاستيلاء عليها في حدود سنة 547هـ بعد استنفاره إلى غزو النورماندين، الذين أرادوا الاستحواذ على سواحل إفريقية، وأصبحت منذ ذلك الوقت ضمن حكم دولة الوحدين بعدما جزءا من أملاك الدولة الحمادية استولى الخليفة على مدينة قسنطينة⁽³²⁾.

وقد استمرت المدينة تابعة للخلافة الموحدية حتى بروز ثورة بني غانية، الذي أحكموا حصارا كبيرا على المدينة في سنة 581هـ/1183-1184م، وكادت المدينة أن تسقط في أيدي الثوار لولا تدخل السلطان أبو يعقوب المنصور سنة 583هـ⁽³³⁾، الذي تمكن من دحر أتباع بنو غانية واسترجاع المدينة وضمها إلى طاعة الخلافة الموحدية عام 583هـ/1187م، ولكن المدينة استمرت بعد ذلك عرضة لتحركات هؤلاء الثوار، وفي آخر المطاف تمكن الخليفة الموحدى أبي محمد عبد الله الناصر من فرض سيطرته وتحرير المدينة.

ولكن أتباع بنو غانية لم يهدأ لهم بال، ولم يهضموا تلك الهزائم وأعادوا الكرة في الهجوم على المدينة، وتمكنوا من دخولها سنة 623هـ/1226م⁽³⁴⁾.

وبقيت مدينة قسنطينة مدة طويلة تتأرجح بين سلطة الموحدين تارة، وسيطرة ثوار بنو غانية تارة أخرى، وفي الأخير حسم السلطان أبو زكرياء الأمر بعد خلعه لطاعة الموحدين وأعلن استقلاله عنها وتسمى بالأمير فكان إيذاها بقيام دولة حفصية مستقلة في تونس، وأخمدت بذلك أكبر ثورة (بنو غانية) في المغرب الإسلامي وانطفأ وميضها⁽³⁵⁾.

ومن بين الملاحظات التي يمكن إضافتها على هذه الدراهم السابقة هو مدى التشابه الكبير بين دراهم مدينة (قسنطينة)، والنقود الفضية الموحدية الأخرى التي ضرب في دور الضرب الموحدية الأخرى في المغرب والأندلس، في كتابتي الوجه والظهر، وهي من السيمات الفنية التي ميزت جميع النقود الخاصة بالمقاطعات التابعة لهذه الدولة المترامية الأطراف،

ولاشك أن ذكر مدينة الضرب (قسنطينة) على هذه العينات النقدية، يثير أكثر من سؤال من حيث العدد الضئيل الذي وصل إلينا من نقودها في العهد الموحد، فهل هذا يعود إلى طبيعة نظام السك الذي ربما كان يحد من إنتاجها الكثير، ربما بسبب الحروب والصراعات التي شهدتها هذه المدينة؟.

وما لاحظناه من خلال دراستنا للنماذج النقدية الموحدية، هو قلة العينات التي سجلت مدينة قسنطينة كدار ضرب، حيث وصلت إلينا أربع قطع في حالة جيدة من الحفظ، باستثناء بعض المساحات منها التي أصابها المحو على كتاباتها بفعل عوامل الزمن، حيث تصنف هذه الدراهم من النقود النادرة في عصر الموحدين، وهي كسابقتها بمدينة الجزائر تعتبر حدثا هاما في تاريخ المسكوكات المغربية التي تحمل اسم مدينة الضرب (قسنطينة).

وهذه الدراهم عبارة عن قطع معدنية مصنوعة من معدن الفضة مقاساتها 15 ملم وأوزانها تراوحت ما بين 1,30 غ و 1,40 غ، وتحتوي على كتابات بالوجه والظهر نفذت بالخط النسخي وبأسلوب النقش البارز، ففي الوجه نجد كتابة من ثلاثة سطور تشير إلى العبارات المعتادة في السكة الفضية الموحدية.

- 1- لا إله إلا الله
- 2- الأمر كله لله (لوحة رقم: 01)
- 3- لا قوة إلا بالله

قسنطينة

أما كتابة لظهر فتتألف من ثلاثة أسطر أفقية تشير إلى:

- 1- الله ربنا
- 2- محمد رسول
- 3- المهدي إمامنا.
- التفسير اللغوي:

لقد لاحظنا على هذه الدراهم الفضية الموحدية لمدينة قسنطينة بعضا من الظواهر النحوية التي ارتبطت بالسكة من حيث تشكيل الحروف وإعجامها، هذين العمليتين اللتان أحدثتا على الكتابة العربية بصفة عامة والمسكوكات الإسلامية بصفة خاصة، قد ساهما في إبراز مدلولات الحروف والمعاني من جهة .



ومن جهة أخرى إعطاء بعد جمالي وفني لشعارات لهذه النقود رغم أن هذه المجموعة قد تعرض جزء كبير منها إلى الطمس نتيجة كثير من العوامل منها سوء الحفظ، إضافة إلى محاولة البعض التدليس والتزييف وطبيعية بفعل طول المدة وموقعها الأصلي بين الطبقات الستراتيغرافية، حيث نجد في أجزاء الدرهم الواحد مساحات من الحروف قد محيت عن آخرها .

غير أنه رغم ذلك فإننا تتبعنا بعض الظواهر المهمة في هذه النماذج التي تعتبر في الوقت نفسه خصائص ومميزات طرأت على الكتابة والخط العربيين بصفة عامة وعلى عملية الشكل والإعجام بصفة خاصة، وأولا سنتعرض إلى أهم التطورات التي لاحظناها على مستوى شكل الحروف وحركاتها.

فقد بقيت الحروف تحافظ على إعجامها، حيث كتب حرف القاف في (قوة) بنقطة واحدة وهذا مرده إلى خصائص الخط المغربي الذي اشتق من الخط الكوفي، وقد كان يسمى خط القيروان، إضافة- إلى التنقيط على حرف الباء في كلمة (بالله) في السطر- الثالث من كتابة الوجه، إضافة إلى إعجام التاء المربوطة في كلمة (قوة) بنقطتين أما ظهر الدرهم فقد جاءت ألفاظ (ربنا، رسولنا، إمامنا) منقطة النون، حيث نلاحظ أن تنقيط النون في كلمة ربنا جاءت متلاحمة تماما مع العنصر- الزخرفي الموجود.

ففي هذه المجموعة النقدية لاحظنا فوق الميم المبتدأة من لفظة (الأمر) بعضا من الدوائر الصغيرة، التي لا نعرف هل جسدها النقاش بغرض الشكل أم فقط لغاية زخرفية ؟، كما نلاحظ أيضا حركة الضم فوق حرف الكاف في كلمة (كله)، وكذلك في حرف الميم المبتدأة وحرف الدال في لفظة الرسول (صلى الله عليه وسلم) (محمد).

2 - 3 التحليل الأبجدي للحروف:

صورة الألف:

فقد نقشت حرف الألف بأوجه متعددة منها أنها جاءت مطلقة حيث تبدو لنا استقامته من الأعلى إلى الأسفل في كل موضع له من الكلمة ونلاحظ هنا تحكم السكاك في إعطاء الحروف بعدها الأصلي، (جدول 01: اللوحة: 01)

أما الصورة الثانية التي كتب بها هذا الحرف ما يصطلح عليه عند علماء الخط بالألف المشعر، الذي تجئ فيه آخر الألف معطوفة الذنب، ويكون موصولا بغيره، وفي أغلب

الأحيان يكون مطلقا.

أما الطريقة الثالثة التي نفذ بها حرف الألف فهي ألف التحريف، وهي أن يبدأ من هامة الألف ثم ينزل بها مستويا حتى إذا بلغ شاكلته تدور في اتجاه اليسار كما مضى في المطلق والمشعر أنظر (الجدول رقم 01 - اللوحة 01)

-صورة الباء وأخواتها:

ثاني حرف في هذه المجموعات هو الباء الذي هو الآخر حصلت عليه بعض التغيرات، فأول نوع منه، هو الباء المجموعة وهي كمال تدوير العراقة والصعود بطرفها ممالا حتى تأخذ شكل نصف دائرة كاملا، وهي أيضا تنزل من رأسها حتى إذا بلغت مستوى الخط القائم ثم تمتد حتى إذا صار في المؤخرة ترفع ذنب الباء .

أما النوع الثاني الذي نقش به الباء هو المعقوفة، وهي نفس المراحل التي تمر بها الباء المجموعة، لكن عندما تصل إلى مكان الذي ترفع فيه الذنب تتوقف هناك وتضاف إليها مطة وتسمى أيضا البتر.

أما الضرب الثالث فهي الباء المبسوطة، وهي تشبه في بدايتها الباء المجموعة لكنها ترسم باستقامة وترسل دون انخساف ولا يعكف ذنبها.

أما حروف التاء المربوطة فقد تعددت صورها منها التاء على شاكلة اللام المثلثة، والتي ترفع رؤوسها في الأعلى على هذه الصورة، والتي تسمى التاء المعراة.

أما الوجه الثاني للتاء المربوطة فهي أنها كتبت بنفس الخصائص مع الأولى بتسطيح أحد رؤوس أو قرون التاء، وذلك حتى تستوي عليها النقاط، وربما لضرورة الشكل استحدث النقاش هذا النوع .

والصورة الثالثة أن تكتب أو تنقش التاء المجردة من الرؤوس والقرون إن صح لنا التعبير في ذلك، وتكتب على شاكلة الميم المستديرة نوعا ما، وهو ما يعرف بالتاء المعراة أو المفردة المثلثة وهنا يقع بعض الالتباس، كون أنه يمكن أن الصورة الأصلية للتاء، وأحيانا تدخل عوامل أخرى، مثل تعرض هذه الدراهم للطمس مما يجعل تلك الرؤوس المرتفعة تزول.



-صورة الجيم وأخواتها:

أما فيما يخص حرف الحاء، فلم يتعرض إلى الكثير من التغيرات لأن هذا الأخير اقتصر على كلمة واحدة، وكان في موقع واحد من الكلمة، حيث جاء في اسم النبي صلى الله عليه وسلم (محمد)، وكانت في وسط الكلمة، فمنها ما يكون ابتداءها على مستوى السطر.

-صورة الدال وأختها:

أما فيما يتعلق بحرف الدال، وباعتبار أن هذا الأخير أظهر جليا في كلمتين في ظهر هذه الدراهم، ألا وهي لفظة (محمد) صلى الله عليه وسلم، و(المهدي)، فإننا نسجل هنا عدة محطات لهذا الحرف.

أولها الدال المفردة وهي على شكل زاوية واحدة يجمع طرفها جمعا يسيرا، والصورة الثانية للدال فهي ما يعرف بالمركبة، التي حسب صاحب كتاب الإنشاء تنقسم إلى أربعة أشكال، مجموعة، مبسطة، ومخطوفة، مقطوفة، هذه الأخيرة التي هي أن الخطاط أو النقاش يرفعها بعد الفراغ من الحرف الذي قبلها، إلا أنه بعد الفتلة يبقى لها ذنبا صغير⁽³⁶⁾.

-صورة الراء:

أما حروف الراء فقد ظهرت في مجموعة النقود الموحدية السبعة بأشكالها الثلاثة: مجموعة، مبسطة، ومقورة، فأما المجموعة منها ففيها أن الخطاط يبدأ من رأس الحرف ثم ينزل على خط الاستواء ثم يبدأ في التقويس على شاكلة الباء المفردة، ثم يصعد بالقلم إلى الأعلى.

أما النوع الثاني لحرف الراء فجاء على شكل راء مبسطة مفردة، وهي أن ينزل النقاش بأعلى الحرف ثم يعرق أي يقوس، ثم يرسل الحرف إلى الأمام، على شاكلة الدال المجموعة التي سبق دراستها ثم ينقص منها ويحدد مؤخرتها⁽³⁷⁾، وفي بعض المراجع نجدها تسمى بالراء المرسل⁽³⁸⁾، حيث يعد نزول في رسم الرأس فبدلا من التقويس إلى الأعلى يرسل الحرف إلى الجهة اليسرى.

أما الصورة الثالثة للراء في هذه الدراهم الموحدية، فهي الراء المقورة، وهي أن ينزل الخطاط من رأس الحرف بأقل مسافة .

-صورة السين:

أما حروف السين، فكانت في أغلبها من ضرب السن المحققة المظهرة، وأن الخطاط بدأ برسم أسنان السين عن طريق الترتيب، وهو أن يبدأ برسم المساحة الأولى ثم يتوقف عند

النهاية، ثم يحدد بالقلم راس المساحة الثانية، والمساحة بين الأسنان تكون متفاوتة بحيث تكون بين الأولى والثانية أقل من الثانية والثالثة على، ويسمى أيضا في مراجع أخرى بالسین المسنن.

وربما اعتمد النقاش على هذه الصورة للسین كونها تحترم المسافات والأبعاد المناسبة لحجم ومساحة الدرهم، كون أن النوع الآخر من السین قد يشغل مساحات أكبر، وكون أن السین قد اقتصر على لفظة (محمد رسولنا).

-صورة الكاف:

وننتقل إلى وضع حرف الكاف، فقد جاءت في أغلبها من نوع الكاف المفردة المبسطة، وهي أن يبدأ النقاش من رأس النقطة ثم يبدأ في التقويس والنزول إلى الجهة اليمنى، ثم الرجوع إلى اليسار عن طريق خط مستقيم

أما الضرب الثاني للكاف، فهو ما يسمى بالكاف السيفي، وهو الانحدار من راس الحرف إلى الأسفل مسافة خمس نقاط نحو اليسار ثم التعرق أو التقويس نحو اليمين ثم الالتفات نحو اليسار أيضا عبر خط مستقيم.

-صورة الفاء وأختها:

أما فيما يتعلق بحروف «الفاء» فقد ظهر التطور جليا، وقد زخرفت هذه المجموعات الموحدية بأبرز أنواع الفاء، وأول ما نستعرضه هو الفاء المجموعة، والتي جاءت منقوشة من اليمين إلى اليسار بشكل منحنى متشابهة الرأسين ثم النزول إلى الأسفل لاستكمال كأس الفاء، وهي في ذلك على شاكلة الباء المجموعة.

أما الشكل الثاني الذي نقشت به الفاء، فهو من ضرب الفاء المرسلة، والتي تكتب في الابتداء مثل سابقتها، ولكنها عند النزول تأخذ في الاسترسال على شاكلة الراء المرسلة التي رأيناها في باب الراء، فتكون أقرب ما تكون إلى الواو.

-صورة اللام:

أما حرف اللام فقد كان تطورها هنا على مرحلتين، أولهما اللام المجموعة وطريقها أن تبدأ من قفاها أو رأسها على نحو ما تقدم في باب الألف المطلق لأن هذان الحرفان (اللام والألف) لهما نفس الاتجاه والنظام، ولأنهما مصاحبان لبعضهما البعض، فاللام تكتب في الابتداء ألفا، ثم تعرق اللام عراقة أي تستدير استدارة أكثر حدودا من الباء ثم تجمع أذنابها كما جاء في باب الراء.



أما الضرب الثاني فهو اللام المرسل، وهي أنها كتبت في بدايتها بألف مطلقة ثم عند النزول تعرق، لكنها تزيد في الإرسال عوض أن تجمع أذناها.

-صورة الميم :

وأما الميم فكانت على عدة أوجه، من بينها أنها نفذت على شكل الميم المرسل وهي أن تبدأ من رأس الحرف بالقيام بتعريق يكون رأس لها، ثم تصعد إلى مستوى هذا التعريق ليبدأ في الإرسال.

أما النوع الثاني الذي ضربت عليه الميم في هذه الدراهم، فهو ميم المجموعة وهي أن تنفذ من اليسار إلى اليمين أي من رأس الحرف إلى مسافة قريبة وتسمى في علم الخط الشظية⁽³⁹⁾.

-صورة النون:

أما حروف النون فهي الأخرى اختلفت ضروبها ومنها :

النون المجموعة وهي أن يبدأ النقاش في رسمها بخط مستقيم ثم ينزل إلى الأسفل بمقدار ما ينزل من الباء، فإذا بلغ مقدار معين يسمى في عرف الخطاطين بالفتلة⁽⁴⁰⁾، ثم يعرق بصورة مستقيمة حتى إذا بلغت المؤخرة ترتفع بمقدار بسيط إلى الأعلى.

أما الضرب الثاني فهو النون المفردة المقورة، فأما طريقها أن تكون على شاكلة نصف دائرة ويكون هناك توازي بين رأس الحرف وذنبه، وأحيانا يكون إحداها ناقص بقليل عن الآخر.

أما النوع الأخير لهذا الحرف في هذه الدراهم فكان النون المفردة المبسوطة، وهي أن الفنان المسلم ينزل من رأس الحرف كما جاء في النون المجموعة ثم يستدير على هيئة قطعة قوس ثم ترسل.

-صورة الهاء:

أما فيما يخص حرف الهاء، فالجدير بالملاحظة أن هذا الحرف قد تجلى تطوره على هذه المسكوكات الموحدية في ضروب مختلفة، لكن هناك نوع واحد من الهاء قد لاحظناه على أغلب هذه المجموعات، والذي وقع في لفظة (المهدي)، في ظهر الدرهم، وتسمى عند الخطاطين بالهاء المقورة والمستديرة، والتي تكون فيها فتحة البياض بارزة في الشقين وكذلك تسمى أذن الفرس⁽⁴¹⁾.

أما النوع الثاني من الهاء في هذه النقود، فهو ما يصطلح عليها بالمدغمة⁽⁴²⁾، وطريقها أن يبدأ النقاش برسمها بعدما فرغ من الحرف الذي قبلها ويستدير استدارة

صغيرة، وينزل يمينا ثم يصعد إلى مستوى الخط الذي هبطت منه، أما الضرب الأخير للهاء، فهي ما يسمى في عرف الخطاطين بالمخطوفة وهي أن النقاش في هذه الحالة يبدأ بنفس المراحل التي مر بها في المدغمة، كنه في هذه الحالة لا يصعد إلى أعلى وإنما يرسل مؤخرة الحرف إلى الأمام.

-صورة الواو:

أما حرف الواو فهو الآخر نال نصيبا وافرا من الاهتمام من طرف الفنان الموحدي على هذه النقود، كوننا سجلنا عدة محطات لأنواع هذا الحرف، أولها الواو المجموعة والتي تكتب أو تنفذ على شاكلة الفاء أو القاف حيث نلاحظ في مؤخرتها استدارة إلى الأعلى، ويجعل لها ذنبا.

أما الشكل الثاني الذي نفذت به الواو على هذه النقود، فهي الواو المبسطة، وهي في الابتداء كسابقتها لكنها في مرحلة النزول، يرسلها النقاش عن طريق خط مستقيم.

-صورة الياء:

أما الحرف الأخير في مجموعتنا فهو حرف الياء، حيث نلاحظ أن أغلب الدراهم تجلت فيها الياء المفردة المجموعة، وهي أن يبدأ النقاش في هذه الحالة بدأ تنفيذها بأن رسم في بداية حرف الدال مقلوبة ثم عندما يصل إلى صدر الحرف يرسم دالا أخرى مستوية، فإذا ركبنا الدالان حصلنا على هذا النوع من الياء.

أما النوع الثاني من الياء فهو الياء المبسطة، والتي تكتب كسابقتها في البداية كحرف دال مقلوبة، ثم عند صدر الحرف ترسل الياء بخط مستقيم وتحدد مؤخرتها.

خاتمة:

إن هذه المجموعة النقدية الموحدية التي حملت اسم مدينة قسنطينة كمدينة للضرب، تعد في غاية الأهمية، كونها تؤرخ لفترة زاهية من فترات تاريخ المغرب الإسلامي وهو العهد الموحدي من جهة، ومن جهة أخرى تمثل أيضا شاهدا ماديا في غاية الأهمية لأبرز الأدوار التي اضطلعت بها مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، ليضاف كل ذلك إلى سجل المدينة الذهبي، وتكتمل حلقة من حلقات تاريخها المجيد الذي تؤرخه هذه الدراهم الفضية التي تعتبر كغيرها من المسكوكات وثيقة تاريخية رسمية لا يمكن الطعن فيها .



اللوحة رقم 01 : نماذج من الدراهم الفضية الموحدة
المربعة ضرب مدينة قسنطينة

النقود	النقود رقم: 01	النقود رقم: 02
الحروف		
الألف	ا	ا
الباء	ب	ب
الجيم	ج	ج
الدال	د	د
الراء	ر	ر
الكاف	ك	ك
اللام	ل	ل
الميم	م	م
النون	ن	ن
القاف	ق	ق
السين	س	س
الهاء	ه	ه
الواو	و	و
اللام ألف	ل	ل
الياء	ي	ي

الجدول 01 : التطور الأبجدي للحروف على الدراهم
الفضية لمدينة قسنطينة

هوامش البحث:

- (1) - توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1948، ص 93.
- (2) - أنظر: - عبد العزيز فيلاي، مدينة قسنطينة إبان الفتح الإسلام، مجلة مركز الدراسات التاريخية، العدد 19، 1985، ص 96.
- رحلة العالم الألماني هابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 88.
- (3) - الحاج أحمد بن مبارك العطار، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011، ص 95-96.
- (4) - أبي عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، تونس، 1992، ص 728.
- (5) - ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر- بيروت 1405هـ/ 1984م، ص 439.
- (6) - أبو عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر، 1983، ص 166.
- (7) - عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1395هـ / 1975م، ص 480.
- (8) - نفسه، ص 481.
- (9) - سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1994، ص 9.
- (10) - نفسه، ص 16-17.
- (11) - أبوبكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المملكة المغربية، 1971، ص 12.
- (12) - أنظر: - المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص 144-145.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: د. إحسان عباس، الجزء الثالث، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983، ص 148.
- (13) - علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية بالرباط، 1420-1999، ص 250.
- (14) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق



- وتقديم محمد الشاذلي لينفر - عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ص103.
- (16) - نفسه، ص276.
- (17) - أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص164.
- (18) - الحاج أحمد بن مبارك العطار، المرجع السابق، ص170.
- (19) - صالح يوسف بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1996، ص10.
- (20) BOUROUIBA Rachid; Abd elMumin, Flambeau des Almohades 2emme - édition, Société National D'édition et Diffusion, Alger 1982, P. 77.
- (21) - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص10.
- (22) - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بإفريقية، القسم الأول والثاني، مكتبة المنار، تونس، 1966م، ص455.
- (23) - PARMESHLARI (lal Gupta), Coins, India 1979, P. 88.
- (24) - البيدق أبو بكر الصنهاجي، المرجع السابق، ص27.
- (25) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد السادس، العدد 01-02، 1378هـ / 1985م، ص111.
- (26) - عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وإفي، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1966م، ص810.
- (27) - صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص10.
- (28) - نفسه، ص10.
- (29) - عز الدين أحمد موسى النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، 1983، ص300.
- (30) - عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص275-276.
- (31) - أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم، المصدر السابق، ص111.
- (32) - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص144-145.
- (33) - أنظر: أبو العباس ابن قنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص103.
- صالح يوسف بن قربة، المرجع السابق، ص132.

- (34) - عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص276.
- علي عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص204-205.
- (35) - الزركشي، المصدر السابق، ص164.
- (36) - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 70.
- (37) - نفسه، ص 72.
- (38) - علي الراوي، الخط العربي، نشأته وتطوره، دار المعارف الإسكندرية، ط1996، ص80.
- (39) - يحيى العمري، الدراهم المغربية الأندلسية مجموعة المتحف الجهوي بمليانة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 127.
- (40) - محمد بن سعيد الشريفي، خطوط المصاحف عند المشاركة والمغاربة من القرن 04 إلى القرن 10هـ، الجزائر، 1982، ص36.
- (41) - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المصدر السابق، ص95.
- (42) - الإدغام، هو مزج أجزاء الحروف في بعضها أو حذفها وغالبا ما يقع في الميم والهاء وفي الراء والنون المعلقين: أنظر يحيى العمري، المرجع السابق، ص128.